وصيةٍ مُصيبةٍ من طرف الدكتور «المنجرة»، وجب علينا أن نبرز مدى مناعة هاته الكلمات ضد آفة الإطراء من جانب المرسل والمرسل إليه أو لنقل من جهة «المطرِي» و«المُطرَى».

إذا ثبت نفور السي المهدي من الصالونات التسييسية كالوزارات والسفارات بسبب «الفيضانات المدحية» التي تغرق بهوها، وإذا انحجبت «مصلحية» كاتب هاته السطور في اللجوء إلى مدح الدكتور المنجرة (ونحن نعلم أن زمام المناصب بيد من يضمرون الحسد لعالمنا المستقبلي) فإن عنان الحقيقة سوف يطلق أمام من شرب من الماء الطاهر لهاته المدرسة النبيلة لكي يفصح عن شكر وجب إخراجه من الصدور إلى السطور دون أي توجس من أن يوصم هذا التعبير بالتملق أو التسلق.

منذ أن أخذنا على عاتقنا التأصيل «الجينيالوجي» للوقائع السياسية المغربية بغية قراءتها لا كأحداث متناثرة هنا وهناك (ولنصطلح على تسمية الجهات التي تحبذ هاته القراءة «الضباع الإثارية») ولكن كنسق متكامل يعكس هواجس من يحبك خيوطه ويبعثر أوراق من يزرع بذوره (ولنصطلح على تسمية حابكينا هؤلاء «بالأسود الإدارية») ونحن نرتئي استخراج العبر من كل صغيرة وكبيرة على المستوى الهرمي حتى نستشرف آفاق غدٍ قريب ونستبصر مؤهلات من يقوى على الصمود فيه. لماذا الحديث إذن عن سي المهدي؟

إن من ينطلق من مسلمة الفصل بين النظر والعمل سيصير حتماً إلى تصنيف أي وصف شخصي ضمن خانة «فن البورتريه» ملصقاً بهذا التصنيف علتين غائيتين هما الاعتراف والتسلية، ولا شك أن هذا الطريق يغفل شمولية الجمع بين الفعل والقول أو بلغة النابغة المغربي طه عبد الرحمن فقه السيرة. عند انطلاقنا من واقعة نجاح الدكتور المنجرة وصموده أمام زوابع الزمن - مستدلين بحجم مبيعات كتبه أو زائري موقعه بالأنترنيت - نحس برغبة جامحة في الاستفادة من سيرة الرجل لغايتين اثنتين هما التنمذج والتنبؤ. ما شكل «النموذج المهدوي» إذن؟ وعلى ضوء معطيات هذا الوصف ما هي مكونات الحقل السياسي المغربي غدًا بعد أفول «فطرياته»؟

١ ـ البنات نموذج «منجري»:

لا شك أن أولى الخصائص النموذجية هي عدم الادعاء ولهذا لا يمكننا أن نجد سي المهدي ينافس مرتزقة العلم في التضحية بالغالي والنفيس بنية انتزاع اعتراف مزعوم أو قبول ضرف ملغوم. تحضرني في هذا السياق مداخلة عالم المستقبليات المنجرة حول الخداع السيميائي للعولمة بمدينة منتريال في ماي ٢٠٠١ بعد سؤال ألقاه أحد الحاضرين مفاده اقتراح تزعم سي المهدي لحركة تغييرية يتبعه فيها المتدخل ومن والاه، وكما تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن فقد يبزغ الحق بما لا يرضاه الباطل. كانت إجابة المهدي بليغة رفعته في أعين من يحبه وصادمة في حق زمرة احترفت نصب الفخاخ في معاقل أكاديمية ليست بقادرة على مسايرة أطوارها وهي الزمرة التي ترعرعت في أحضان المستعمر أو الخائن وتعلمت منه أساليب عدت من العصر الوسيط في زمن صارت المعرفة فيه أشرف من أن تقبل زيارة عقول عطلت بفعل تقادم الزمن تارة أو تقادم العنب تارة أخرى. لقد قال أستاذنا المقتدر «أنا لست بزعيم» فآمن من آمن وكفر من كفر، وحتى نوفي التاريخ حقه لا حرج في ذكرجوابه عن سؤال طرح عليه في «الحرب الحضارية الأولى» يخص نوع المنصب الوزاري الذي يرى نفسه أكثر فعالية فيه. آنذاك ذكرالسي المهدي السائل بأن السؤال من باب الخيال معللاً رفضه بسببين اثنين يلبسان صاحبهما حلتي «مرضي الوالدين» و«خبير السياسة»: وصية والده رحمه الله بالابتعاد عن كل جماعة ضيقة وعلمه بأن لجام القوة في أية مؤسسة لا يوجد بيد من يقودها ولكن بيد محرك يصر على المكوث خلف الستار، وها نحن نجد هنا سرين من أسرار النجاح في حظيرة الذئاب: السعة والخفاء فلا مستقبل لمن يبني سياسته على الإقصاء والظهور.

إن أهم لبنة تشيد صرح المشروع الفكري «المهدوي» ليخترق عقودًا من الزمن وهو عالي الهمة لا يأبه بعوامل التعرية التي مسخت كم من مشروع فكري سلخ عن هويته ففقد مصداقيته على الساحة ولم يعد بوسعه إلا